تذييل

يستبعد تصورنا لهذا الفيلم عن الحرب اللبنانية ، عدة اختيارات تطرح نفسها بداهة . يستبعد مثلا اعادة صوغ العنف الذي تشكلت منه الحرب ، في وجهها العسكري : بمتاريسها وقذائفها ، الخ . . ففي هذا الفيلم لا يسمع المشاهد طلقة واحدة . ويستبعد ايضا استعادة الحبكة السياسية التي تنامت على امتداد الحرب ، او استعادة اجزاء منها : لا قادة هنا يلتقون ولا اتفاقات تخرق ولا مبعوثين ، الخ . . ويستبعد ايضا الحرب التي سجلتها الوثائق : لا اشرطة تستعاد للاحياء المدمرة ولا لقوافل المهجرين ولا للجثث ، الخ . . هذا من حيث محور الفيلم . اما من حيث دائرته ، فاستبعدنا « تمثيل » « اطراف » مختلفة ، سواء أكانت طوائف ام مناطق و« بيئات » ام تنظيمات متناحرة . . هذا الفيلم لا يطمح الى « تغطية » لما طالته الحرب . . فالشخصان اللذان يعيشان يوما وبعض يوم من حياتهما في هذا الشريط (يموت احدهما ، في نهايته ، وتهاجر الاخرى) ليسا شخصين نموذجيين. اي انهما لا يقدمان ، من حيث الموقف ، صورة هي الاكثر شيوعا لما كانت عليه المواقف في بيئتيهما المتقابلتين اثناء الحرب . فلا ينبغي النظر اليهما على انهما

« ممثلان » لهاتين البيئتين . بل ينبغي حملهما ، بصفتهما الشخصية ، على محمل الجد. ولا ريب في ان الفيلم نفسه هو الذي ينبغي عليه ان يفرض هذه الصفة لا سواها . والعلاقة بين الشخصيتين هي الاخرى ، ليست نموذجية . فلا هي علاقة « غرام » تحيل الفيلم الى فيلم « عاطفي » ، ولا هي علاقة صحبة عادية تلزم الحوار في امور ذات مدى عام ان يكون ذهنيا . وانما تتدخل فيها الرغبة ـ مكبوحة ـ الى الحد الذي يتيح لها ان ترفع حرارة التأمل وتغوص به الى ابعد مدى متاح .

استبعدنا هذه الاختيارات كلها اذن . واخترنا ان نبرز وقع الحرب على هذه العلاقة . بعد ان انقطع هذان الشخصان الواحد عن الآخر ، طيلة الحرب ، يستأنفان ليوم واحد حوارا غير مباشر من الموقعين اللذين وصلا اليهما . وهما موقعان مختلفان . وصلت الفتاة الناضجة ، التي امكن لها ان تجمع بين القرب من مجريات الحرب وانعدام المشاركة فيها ، الى حالة من « الطيبة » الوهمية مفضية الى اليأس . . لذا تغادر البلد ، غاضبة عليه ، راضية عن نفسها . ولكن هذا الرضا يحتاج الى شهادة من الآخر ، لن تنالها . فتتحول لحظة المغادرة الى لحظة انهيار . اما الرجل الذي يغادر شبابه فقد التبس عليه ، في نهاية هذه الحرب ، امر نفسه . . اختلطت عليه ملامح شخصه . تورط دون « افراط » ، وكان تورطه « مفروضا » عليه . ولكن اين هو حد الافراط وما هو معيار التمييز بين المفروض وغير المفروض ؟ هذا الاختلاط ، الذي يلوي خطط المستقبل ويبعثرها ، بعد ان ضرب وضوح الماضي القريب ، هو الذي يجعل كل الحلول (ومنها الانتحار) محتملة في حالة حيدر .